صاحبُها الصَّالح نجمُ الدِّين أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب، وكان يوماً عظيماً بكثرة الخَلْق والزِّينة.

ونزل[1] عندنا بالمدرسة العادلية الشيخُ الفاضل الأمين، ضياءُ الدِّين أبو الحسين محمد بن إسماعيل بن عبد الجَبَّار[2]، يعرف بابن أبي الحجَّاج المقدسي[2]، وصهره الأمين العالم الفاضل شمس الدِّين بن الجبَّاب[1].

فأقام[3] بها خمسة عشر يوماً، ثم رحل إلى بَعْلَبَك، فكشفها، ثم رجع ومضى نحو صَرْخد، وتسلَّمها من صاحبها عِزِّ الدِّين أيبك المُعَظَّمي، ورحل إلى بلاد بانياس، وتسلَّم حِصْنَ الصُّبيْبَة من الملك السَّعيد بن العزيز بن العادل، وهو ابنُ عمِّ السُّلْطان وفي خدمته، ثم تَسَلَّم حِصْنَ الصَّلْت من ابن عَمِّه داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب، وفَرَّق بدمشق نحو تسعين ألف درهم على الفقراء، فخان فيها المفرِّقون، فنظمتُ فيهم قصيدةً نحو أربع مئة بيت في شرح حالهم فيها[4].

١٨٠ **ثم دخلت سنة خمس وأربعين وست مئة**

أولها يوم الأربعاء، فرجع السُّلْطان الصَّالح أيوب إلى مِصْر جريدةً، وأبقى العساكر بالسَّاحل محاصرين لبلاد الفرنج ـ خذلهم الله ـ بعَسْقلان وطبرية، فجاء الخبر بفتح طبرية في عاشر صفر من هذه السنة، وجاء الخبر بفتح عَسْقلان في أواخر جُمادى الآخرة منها.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في الأصل.

قال إبراهيم عفا الله عنه: وكأن خبر نزول ضياء الدين ابن أبي الحجاج بالمدرسة العادلية، استدركه أبو شامة من بعد بورقة طيارة، ثم أُنزل في هذا الموضع، فقطع به سياق خبره عن الصالح أيوب، والله أعلم، وترجمة ضياء الدين سترد ص ٩٣ من هذا الجزء.

(٣) أي أقام الصالح نجم الدين أيوب بدمشق.

(٤) أورد أبو شامة منها بيتاً واحداً ص ١٣٨ من هذا الجزء.

وفيها توفي النِّظام عبدُ الله بن زين الأمناء ابن عساكر[١].

وفي العام قبله توفي أخوه الرُّكْن عبد اللطيف، وكان متزهِّداً، ذا وَسْواس.

وفيها عُزِلَ الخطيب عمادُ الدِّين داود ابن خطيب بيت الأبار من خَطَابة منبر جامع دمشق وإمامته، ومن التدريس بزاويته الغربية بشام، وولي ذلك القاضي عمادُ الدِّين عبدُ الكريم بن الحرستاني، وذلك في أواخر رجب.

وفي سَلْخه توفي المجد بن نظيف. وفي شعبان توفي الشمس بن هلال.

وفي رمضان توفي الكمال علي بن يعقوب الدولبي، القاضي الشافعي، وكان فقيهاً أديباً، تولى القضاء ببَعْلَبَكَّ، ثم بصَرْخَد، ثم بُزرًا، وبها توفي[٢].

وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ علي المعروف بالحريري[٣]، المقيمُ بقرية

---

(١) سلفت ترجمة أبيه ص ١٨ من هذا الجزء.

(٢) في (ك) و(ع) و(س) زيادة، وهي: قلت: وجدت بخط الدولبي المذكور أنه علي بن يعقوب بن إسحاق بن عبد الله بن أبي الحسن، وهو كردي جَوْذَقاني، رحمه الله تعالى، وكان شيخاً في الفقه.

قال إبراهيم عفا الله عنه: وهي زيادة من قارئ كما لا يخفى.

(٣) له ترجمة في سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧، العبر للذهبي: ٥/ ١٨٦، فوات الوفيات: ٣/ ٦ ـ ١٢، عيون التواريخ: ٢٠/ ١٤ ـ ١٧، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٥)، نزهة الأنام: ١٧٦ ـ ١٧٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٩، ٣٦٠، الدارس: ٢/ ١٩٨، الكواكب الدرية للمناوي: ٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٣، ٤٦١، شذرات الذهب: ٥/ ٢٤٥، منادمة الأطلال: ٢٦٦ ـ ٣٠١، جامع كرامات الأولياء: ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥،

وانظر ترجمة ابنه محمد في «الوافي بالوفيات»: ٤/ ١٨٣، فقد كان من المنكرين على أصحاب أبيه.

قال إبراهيم عفا الله عنه: وقد نسب الذهبي في «السير» ٢٣/ ٢٢٦ كلاماً لأبي شامة في الانتصار للحريري، فقال: وممن انتصر له وخضع لكشفه الإمام أبو شامة، فقال: كان عنده من القيام بواجب الشريعة ما لم يعرفه أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً، وأكثر الناس يغلطون فيه، كان مكاشفاً لما في الصدور بحيث قد أطلعه الله على سرائر أوليائه.

وكذلك صنع ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ٦/ ٣٦٠، وكذلك المناوي في «الكواكب =

بُسْر[1] في زاويته، وكان يتردَّدُ إلى دمشق، وتبعه طائفةٌ من الفقراء، وهم المعروفون بالحريرية؛ أصحابِ الزِّيِّ المنافي للشريعة، وباطنهم شَرٌّ من ظاهرهم إلا من رجَعَ إلى الله منهم، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشَّريعة، والتهاون بها، ومن إظهار شعار أهل الفُسوق والعِصْيان شيءٌ كثير، فانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كُبراء دمشق، وصاروا على زِيِّ أصحابه، وتبعوه بسبب أنه كان خليعَ العِذار، ويجمع مجلسُهُ الغناءَ الدَّائم، والرَّقص والمُرْدان، وتركَ الاحتجار على أحدٍ فيما يفعله، وتَرْكَ الصَّلواتِ، وكثرة النَّفقات، فأضَلَّ خَلْقاً كثيراً، وأفسد جَمًّا غفيراً، وقد أفتى في قتله مراراً جماعةٌ من علماء الشَّريعة، ثم أراح الله منه.

= الدرية» ٢/ ٤٦١، وهما متابعان للذهبي، وقد زاد المناوي تعيين كتاب أبي شامة، فقال: وأثنى عليه أبو شامة الإمام في «ذيل تاريخه».

والراجح أن المناوي لم يطلع على «المذيل»، إذ إن هذه العبارات التي ساقها الذهبي على أنها من قول أبي شامة، هي ما قاله في الحريري سبطُ ابنُ الجوزي في «مرآة الزمان»، نقلها عنه ابنُ شاكر الكتبي في «عيون التواريخ»: ٢٠/ ١٧ مصرِّحاً بالعزو إليه، وذكرها كذلك دون أن يصرح باسمه ابن دقماق في «نزهة الأنام»: ١٧٧، ـ وترجمة الحريري في «مرآة الزمان» مما أسقطها مختصره اليونيني كما بينت في تقديمي له ـ فالإمام الذهبي ـ على إتقانه ـ قد سبقه وهمه، فأسرع إلى ذكر أبي شامة وهو يريد سبط ابن الجوزي، وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يقع فيها للذهبي هذا الوهم، انظر ص٩٧ من الجزء الأول. ومن يعرى من الوهم!

ثم إن ما ساقه أبو شامة في ترجمته ينفي عنه صدور مثله عنه أو تبنيه، ومنهج أبي شامة في فهم الشريعة مخالف لهذا المنهج، وهو في «المذيل» شديد الحملة على من ينحو منحى الحريري، أو يرتع في حماه.

(١) في هامش (ك) حاشية، وهي: عند زرع من جولان، وذلك (كذا) القرية المعروفة ببسر، فيها قبر اليسع نبي الله عليه السلام في مكان عظيم، نفعنا الله به في الدنيا والآخرة، وإلى يومنا مدرسة الحريري في بُسْر، وطائفته إلى يومنا هذا. بتحرير سنة ٩٣٩هـ.

وتوفي[1] في هذه السنة أيضاً الملك مسعود صلاح الدين يوسف بن أقسيس[2] بن الملك الكامل ليلة الأحد لثمانٍ خلون من شعبان، وعمره مقدار عشرين سنة بالقاهرة، ودفن في تربة شمس الدولة خارج باب النصر، رحمه الله تعالى[1].

ثم دخلت سنة ستٍّ وأربعين وست مئة

ففيها استولى صاحِبُ حلب على حِمْص.

وفيها في يوم الجمعة سادس عشر ربيع الأول صُلِبَ مملوكٌ تركي صبيٌّ بالغ كان لبعض الأمراء الصَّالحية النَّجْمية[3] يدعى السقسيني، زعموا أنه قَتَلَ سَيِّده لأمرٍ ما، فَصُلِبَ على حافَةِ نهر بردى تحت القلعة في آخر سوق الدَّواب، وجُعِلَ وجهه مقابل الشَّرْق، وسُمِّرت يداه وعَضُداه ورجلاه، وبقي مِنْ ظهر يومِ الجمعة إلى ظهر يوم الأحد ثم مات، وكان يوصف بشجاعةٍ وشهامة، ودين، وأنه غزا بعسقلان، وقتَلَ جماعةً من الفرنج، وقتل أسداً على صِغَرِ سِنِّه.

وكان منه في صَلْبه عجائب؛ فمن ذلك أنه جاد بنفسه للصَّلْب غير ممتنعٍ ولا جازع، بل مَدَّ يديه، فَسُمِّرتا، ثم سُمِّرَتْ رجلاه وهو ينظر، لم يتأوَّه، ولم يتغيَّر وجهه، ولا حَرَّك شيئاً من أعضائه. أخبرني مَنْ شاهد ذلك منه جماعةٌ، وبقي إلى أن مات صابراً ساكتاً؛ لم يئن، ولم يشتك، ولم يزد على نظره إلى رِجْليه وجانبيه، تارةً يميناً وتارة شمالاً، وتارةً ينظر إلى النَّاس، بل إنه استسقى

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب) و(س)، وإخالها زيادة من قارئ، إذ إن أسلوبها مغاير لأسلوب أبي شامة في عرض تراجمه، وانظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٣١٠ من الجزء الأول، فلعل كاتب تلك الزيادة هو كاتب هذه، والله أعلم.

(٢) له ترجمة في مفرج الكروب: ٤/٢٦٢ ـ ٢٦٣، السلوك للمقريزي: ج١/ق١/٢٧٦، شفاء القلوب: ٤٢٦.

(٣) أي أمراء الصَّالح نجم الدين أيوب.